التجربـــة السودانيـــة فى التعريب

فتحـــى حسـن المصرى

رئيس وفد جمهورية السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

يختلف السـودان عن بقية الدول العربية فـــى تاريخـــه السياسى وفى تكوينه السكانى ونتيجة لذلك واجهت السودان مشاكل عديدة نبذل الآن كل ما فى وسعنا للتغلب عليهـــا .. فالســـودان فى تاريخـــه السياسى تخلص من الحكم التركى العثمانى بقيـــادة السيد محمد احمد المهدى عام 1885 م ولكن بريطانيا العظمى آنذاك قادت جيشا مصريا واعـــادت غـــزو السودان عام 1898 م وابتكرت لاجل الوصول الـــى غايتها الاستعمارية عبارة الحكم الثنائى فى القـــاموس السياسى بمعنى انها تشترك مع مصر فى حكم السودان ولكنها فى واقع الامر تنفرد باستعمار الديار السودانية. ولم تشرك مصر فى الامر الا لاكتساب مشروعية هذا الاستعمار الذى استمر حتى عام 1956 م .

فى هذه الفترة عملت بريطانيا جاهدة لتفصـــل شمال السودان عن جنوبه ثقافيا . فاعتبرت كـــل اقاليم الجنوب مناطق مقفولـــة على الشمـــاليين لا يستطيعون الوصول اليها الا باذن خاص من المفتش البريطانى ، واطلقت بريطانيا فى الوقت نفســه ايدى الكنائس والبعثات التبشيرية لتعمل فى نشر الديـــن المسيحى وتعليم الجنوبيين تعليما كنسيا اوليا بما لا يتعدى محو الاميـــة فيهم .

اما فى شمال السودان . فرغم محاولة الاستعمار بالا يكون للعروبة اثر جنوب مصر استطاع المواطنـــون ان يحافظوا على دينهم وعلى لغتهم العربية بفضـــل خريجيهم من الازهر الشريف وبفضل الجهد المصرى بشكل عام . . وبمرور السنين ازداد عدد الخلاوى القرآنية وانشئت المدارس الحكومية . وكان التعليم فى هذه المدارس او الكتاتيب كما كانت تسمى آنذاك باللغة العربية . ولم يحاول الانجليز قط ان يدخلوا لغتهم فى هذه المرحلة التى كان الطالب يبقى فيها حتى عمر الثانية عشر . ويبدو ان احجام المستعمريـــن عـــن ادخال لغتهم فى الكتاتيب يرجع الى ميل البريطانـــى الطبيعى الى الحرص على المال والبعد عما يتطلبه ذلك من اموال باهظة لم تقو الحكومة على جمعها .

اما اللغة الرسمية لدواوين الحكومة فكانت اللغة الانجليزية كمـــا كان التعليم الذى يعمل المستعمرون على تحقيقه هو القدر الكافى لتسيير دفة الحكم لا اكثر. ولذلك ادخلوا لغتهم فى المرحلة الوسطى التى كـــانت تمتد من الثانية عشر الى السادسة عشر من عمـــر التلميذ . كان فيها حظ اللغة الانجليزية ثلاث عشرة حصة اسبوعيا وللعربية تسع فقط . وتلت المرحلـــة الثانوية وفيها كان الطالب الســودانى يتلقى كل مواد دراسته باللغة الانجليزية ما عدا الدين واللغة العربية.

واستمرت هذه الحال حتى تحقق الاستقـــلال السياسى للسودان عـــام 1956 م . وكـــانت رغبـــة السـودانيين فى التعريب او قل فى الاستقلال الثقـــافى

تسير جنبا لجنب مع رغبتهم فى التخلص من الحكم الاجنبى وذلك دليل على انهم كانوا يرون سيادة اللغة الانجليزية فى بلادهم وجها آخر للاستعمار نفسه ، لا يتم التخلص من احدهما مع بقاء الآخر .. ولذلك بدأوا فى تنفيذ فكرة التعريب فور حصولهم على الاستقلال . فبدأوا بعلم الجغرافيا والتاريخ ، وكان من المسموح للطالب أن يجيب على أسئلة الامتحان باحدى اللغتين فترة من الزمن ، وبعد قليل وجد ان الطالب يفضل الاجابة باللغة العربية .. وجاء دور العلوم والرياضيات عام 1965 م فاجتزنا التجربة بالطريقة نفسها وبنجاح مدهش ، واكتمل تعريب جميع العلوم فى جميع مراحل التعليم العام بالسودان · وما يجدر بنا ذكره هنا هو ما وجدناه من عون صادق من اشقائنا العرب سواء كان ذلك باعارة الاساتذة بالسودان مدنه وبواديه أو تقديم منح دراسية لبعض اساتذتنا للتدريب أو مدنا بالكتب اللازمة او الخبرة فى مجال التعريب فتحية منا لهم حكومات وافرادا ، وهنا فى هذا المؤتمر على سبيل المثال لا الحصر استاذان جليلان ادبا للسودان فضلا لن ننساه فى تعريب الرياضيات والاحصاء هما : الدكتور احمد سعيدان والدكتور عبد المنعم ناصر الشافعى فلهما ولغيرهما ممن ساعدونا كل تحية واجلال وتقدير . وبيننا الآن المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدكتور محيى الدين صابر ، وعلى يديه عندما كان وزيرا للتربية بالسودان تم التعريب فى التعليم العام وترسخت اقدامه ·

ومما يجدر ذكره هنا ايضا هو الاهتمام الزائد الذى يراه السودانيون للغة الاجنبية فى التعليم ، فلقد اعتنوا اثناء عملية التعريب عناية فائقة باللغة الانجليزية حرصا منهم بالا ينغلقوا على انفسهم ولان تظل صلتهم وثيقة بثقافات الامم الاخرى .. بل هم ادخلوا فى الوقت نفسه اللغة الفرنسية فى المدارس الثانوية ايمانا منهم باهمية اللغات الاجنبية ولانه من الاجدر الا يعتمد على لغة اجنبية واحدة .. ولاجل هذا كان تأكيد الوفد السودانى دائما فى هذا المؤتمر على ضرورة الاهتمام باللغات الاجنبية فى البلاد العربية.

هذا ما كان من امر تعريب التعليم العام فى شمال السودان ، اما الجنوب فظل فى ايدى المستعمرين ، لم يخلفوا وراءهم يوم اجبروا على مغادرة البلاد غير الجهل المطبق والفقر والمرض ، وهذا لا يستغرب من الاستعمار ولكن البريطانيين زرعوا فوق ذلك الحقد الدفين على كل ما هو عربى او اسلامى ، وسيحاسبهم التاريخ على ذلك .. وكان ما كان بين شمال السودان وجنوبه الى ان ساد الصفاء والود بينهما بما يشبه المعجزة باتفاقية الوحدة فى اديس ابابا عام 1971 م ·

والموقف اليوم هو أن اصبحت لغة عربية دارجة هى لغة التفاهم فى كل مناطق الجنوب وبها عشرات اللهجات المحلية المختلفة ، ولكن لا يتمكن فرد من قبيلة على التفاهم مع القبيلة الاخرى بغير هذه العربية الدارجة التى نشأت نشأة تاريخية بجنوب السودان · اما اللغة الانجليزية فليس لها وجود الا بين فئة قليلة من الذين تلقوا منهم تعليمهم بالكنائس ·

وأمر التعليم الآن فى الجنوب متروك للجنوبيين ولغة التعليم العام عندهم هى اللغة الانجليزية ، ولا شك ان اخواننا العرب سيغبطون عند ما يعلموا ان الجنوبيين متحمسون لتدريس اللغة العربية فى مدارسهم عن وعى وعن طوع وارادة ذاتية ، فاللغة العربية اصبحت عندهم لغة اساسية فى مناهجهم منذ اتفاقية الوحدة ولا يستبعد ان تحل اللغة العربية محل اللغة الانجليزية فى الجنوب فيما يستقبل من الزمان ·

اما التعريب فى الجامعة فهو المشكلة التى تواجهنا اليوم .. والتعريب فى الجامعة يحتاج الى جهود عقلية مضنية فهو بحاجة الى اللغة العلمية لا مجرد تعريب المصطلحات · ورغم اننا مقتنعون بضرورة التعريب فى المستوى الجامعى فان معنا الآن وخاصة فى بعض الاقسام العلمية عدد لا يستهان به من الاساتذة غير العرب · وعدد الاكفاء من السودانيين للعمل فى الحقل الجامعى كبير ولكن اكثرهم منبثون فى الجامعات العربية والافريقية وبعضهم يعمل فى الجامعات الغربية وكلهم يودون البقاء فى الخارج اما لمواصلة البحث والاستزادة من العلم ، او لاغراء مالى .. وهكذا سيمر بعض الوقت حتى نجد الاساتذة الكافين للقيام بأمر التعريب الكامل فى الاقسام العلمية بجامعات السودان ·

ويلى الاستاذ فى الاهمية ، الكتاب المعرب فبجانب المصطلحات العلمية باللغة العربية نحن فى امس

الحاجة الى الكتاب المؤلف باللغة العربية او المترجم اليها وليت المنظمة العربية او مكتب التنسيق تولى حملة مكثفة ومنسقة لترجمة المراجع الهامة بغية الاستفادة منها فى التدريس .

ونحن هنا نرجو من الدول الرائدة فى التعريب ان يمدوا جامعة الخرطوم بنسخة واحدة او نسختين من كل كتاب تم تاليفه او ترجمته فى مادة من مواد التدريس فى العلوم التطبيقية فى المستوى الجامعى .

وفى جامعة الخرطوم الآن لجنتان احداهما فى كلية التربية والاخرى فى كلية الآداب تخططان تنفيذ امر التعريب فيهما وبدا التعريب بالفعل فى كلية الاداب بعلمى الجغرافيا والتاريخ ، وأن يتم التعريب فى كل الاقسام الاخرى قبل حلول عام 1980 م وبالسودان جامعة أم درمان الاسلامية وجامعة القاهرة فرع الخرطوم تعلمان باللغة العربية ولكن تنحصر جهودهما فى العلوم الانسانية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

*